الحركات الإسلامية والمجتمعات العربية '..(1) الخطاب- السلوك – الأدوات

11-10-2003

فمن الواضح أن المجتمعات قد سبقت الحركات الإسلامية في الكثير من المجالات بسبب حالة الجمود والعجز والكسل الذي تعاني منه هذه الحركات على المستوى الاجتماعي. الأمر الذي يتطلب وجود دراسات للبنى والمفاهيم والظواهر الاجتماعية السائدة وقراءتها جيدا،

بقلم محمد سليمان

تبدو خطة الحركات الإسلامية مزدحمة بالقضايا والتحديات على مختلف الأصعدة، وإذا كانت أعينها متجهة غالبا نحو الهموم السياسية وما يرتبط بها من صراعات وقضايا ومشكلات تشغل قادتها ومفكريها وأبناءها، فإنّ المسألة الاجتماعية تبدو اليوم أكثر الحاحا من أي وقت آخر.

ويمكن اكتشاف حالة من الإفتقار الشديد تعاني منه العديد من الحركات الإسلامية في قراءة وتحليل المجتمعات العربية ومتابعة ورصد الظواهر الإجتماعية واتجاهات الحراك الإجتماعي، مما يستلزم إعادة الإعتبار للدراسات الاجتماعية وتجديد الخطاب والسلوك والأدوات الاجتماعية بما يتناسب مع هذه الدراسات الملحة اليوم...

1. دواعي الاهتمام بالدراسات الاجتماعية:

تبرز الحاجة إلى الاهتمام بالدراسات الاجتماعية وبناء مقاربات أولية في فهم المجتمعات العربية وتجديد الخطاب والسلوك والأدوات الاجتماعية من خلال عدة نواحٍ ومجالات أساسية:

أولاً: التطور في المفاهيم والنظم السياسية والذي يدور حول تقليص دور مؤسسات الدولة ومسؤولياتها، وإعطاء زخم وفعالية كبيرة للقطاعات الأهلية ولمؤسسات القطاع الخاص والمجتمع المدني. بمعنى آخر؛ إيجاد دور أكبر للمجتمعات على حساب الدور التقليدي للسلطة والمؤسسات الرسمية، وهذا بدوره يدفع إلى توجيه الاهتمام نحو هذه المؤسسات الأهلية والمدنية والتي تحمل المؤشرات المستقبلية معالم دور فاعل وكبير لها في المستقبل والتي تقوم بدورها على عاتق الفعاليات الأهلية والمجتمعية.

ثانيا: ضرورة رصد الحراك الاجتماعي وتحليله وفهمه في العالم العربي والذي يتأثر بشكل كبير بالمتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية المتعددة، مما يمكن - إلى درجة كبيرة - من معرفة وإدراك مفاتيح التعامل معه ومع اتجاهاته المختلفة، فهناك على سبيل المثال حراك اجتماعي في كثير من المجتمعات العربية يسير نحو التطرف الشديد باتجاهين: ديني متشدد ومن ذلك نشاط العنف الإسلامي والطائفي، ولا ديني متشدد ومن ذلك ظاهرة عبدة الشيطان، والتي انتشرت في عدة دول خاصة: الأردن، مصر، لبنان.

ثالثاً: ازدياد خطورة وأهمية العديد من القضايا المرتبطة بالمجتمعات وهمومها ومشاكلها، خاصة هموم الفقر والبطالة والضغوط الديمغرافية، بل إن تقرير الاتجاهات العالمية عام 2015 الصادر عن مركز دراسات تابع لوكالة الاستخبارات الأمريكية توقع ان يكون المفتاح الرئيس في إدراك وفهم الشرق الأوسط عام 2015 هو الضغوط الديمغرافية والمشاكل المرتبطة بها.

ويمكن رصد ذلك من خلال صورة طبقية عن إحدى أعرق وأكبر العواصم العربية وهي مدينة القاهرة؛ إذ تعيش نسبة كبرة من سكانها تحت خط الفقر المدقع وتعاني غالبية الشعب من البطالة والجوع والفقر، إلى درجة الحديث عما يسمى بالطبقة الارتوازية العريضة فيها!.

فهذا الجزء الكبير والعريض من السكان في العالم العربي الذي يعاني من مشاكل اقتصادية واجتماعية كبرى يفرض نمطا من الهموم والأولويات لقطاع الشباب العريض، يتطلب اهتماما معرفيا وفكريا في وضع مقاربات لطبيعة الطرح والخطاب الإسلامي والاولويات التي يجب على الحركات الإسلامية أن تؤكد عليها فكرا وممارسة.

رابعاً: من الواضح من الوثائق الأمريكية أن الولايات المتحدة بدأت تتجه بشكل كبير للتأثير على المجتمعات العربية والإهتمام بالقضايا الثقافية ومؤسسات المجتمع المدني خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، في إثر وجود مراجعات كبرى في السياسة الأمريكية الخارجية التي كانت تدعم وتساند الأنظمة الشمولية القمعية العربية.

وقد نشطت في الفترة الأخيرة السفارات الأمريكية وما يرتبط بها من مؤسسات ومراكز بنشر النموذج الأمريكي والتأثير على قطاع كبير من المثقفين والشباب العربي من خلال وسائل متنوعة ومتعددة ومتشابكة: المنح، الزيارات المتبادلة، الوسائل المادية، المدارس والبرامج الثقافية. وكل الوسائل والموسسات السابقة تهدف إلى إيجاد جيل من الشباب وقطاع من المثقفين العرب يتبنى النموذج الأمريكي ويدافع عن السياسة الأمريكية، ويمكن مستقبلا أن يتسلم مراكز حساسة في الدول العربية، وتكون ميزته عن السلطات القائمة الحالية أنه أقل فسادا من الناحية المالية، وأكثر ليبرالية، ويؤمن إيمانا عميقا وكبيرا بالنموذج الأمريكي.

ويبدو هذا الاهتمام الأمريكي الأخير خطيرا للغاية؛ لأنه يتحرك على نفس الأرض التي تتحرك عليها الحركات الإسلامية اليوم وتستثمرها في خطابها السياسي، أي المجتمعات العربية أو الرصيد الاجتماعي والذي يشكل الزخم الحقيقي ومصدر قوة وفعالية الحركات الإسلامية اليوم، وبالتالي من الواضح أن جزءا أساسيا من المواجهة المحتدمة بين الحركات الإسلامية والمشروع الأمريكي يتجه اليوم إلى المجتمعات العربية، وهذه الاتجاه للسياسة الأمريكية نحو المجتمعات والفئات المختلفة ليس جديداً، فقد كان عنوانا أساسيا من النشاط الاستخباري والسياسي الأمريكي في الحرب الباردة، وأحيل في هذا السياق إلى كتاب الحرب الباردة الثقافية، او من يدفع الثمن؛ والذي يسلط الضوء على هذا النشاط الخطير وهو من أخطر أنواع الاختراق للبنى الاجتماعية والثقافية العربية، ويشكل تهديدا اكبر من التهديد السياسي والعسكري، كما يقر بذلك كبار المنظرين الاستراتيجيين الأمريكان وعلى رأسهم جوزيف ناي في كتابه " مفارقة القوة "؛ عندما يتحدث عن القوة الناعمة Soft Power.

خامسا: ومن دواعي اهتمام الحركات الإسلامية بالدراسات الاجتماعية الجمود الملاحظ للخطاب التقليدي الذي تقدمه هذه الحركات على المستوى الاجتماعي والحديث المجتر والمكرر في عدة قضايا تجاوزتها المجتمعات وأصبحت متقدمة فيها على الحركات الإسلامية، كما أنّ الأدوات الاجتماعية التي تقوم عليها الممارسة الاجتماعية للحركات الإسلامية أصبحت بالية وغير مناسبة

للمفاهيم والتطورات الاجتماعية الجديدة، فمن الواضح أن المجتمعات قد سبقت الحركات الإسلامية في الكثير من المجالات بسبب حالة الجمود والعجز والكسل الذي تعاني منه هذه الحركات على المستوى الاجتماعي. الأمر الذي يتطلب وجود دراسات للبنى والمفاهيم والظواهر الاجتماعية السائدة وقراءتها جيدا، لوضع دراسات في بناء الخطاب الاجتماعي وتحديد أدوات الممارسة الاجتماعية من خطاب وعظي، وميادين العمل الخاص: التعليمية، الخدماتية، الثقافية، التنموية.

للعودة للأعلى